خطاب سعادة الدكتور طلال أبوغزاله خلال فعاليات الملتقى الدولي السنوي السادس والعشرون للأسمدة

بتنظيم من الإتحاد العربي للأسمدة

القاهرة – جمهورية مصر العربية

11 فبراير 2020

طبعا هذا الرجل الكبير الذي أمامكم فيما تبقى له من شعر وهو في عمر ال (81) سنة لم يكن يحتاج لأحد ليساعده في صعود الدرج وأؤكد لكم أنني قد كنت نشيطًا في شبابي وأؤمن بأن التعب مفيد للصحة وأن الراحة مضرة للصحة، وأنا لم آتي للتكلم عن الأسمدة لأنني جاهل وأعترف بجهلي في موضوع الأسمدة رغم أهميتها.

سأتحدث لكم عن قصة وحكاية، في سنة (1985) قبل أربعة عقود تقريبًا كان لي فرصة حضور ندوة في واشنطن في معهد اسمه (National Science Academy) وكان موضوع الندوة أين ستكون أمريكا في عام (2020) وكان إجتماعًا (Multistakeholder) فيه من الحكومة وصناع القرار ومراكز الأبحاث ومجلس النواب والجامعات، وكان موضوع البحث حول موضوع واحد صدقوني لم أسمع فيه كلمة نفط، أوروبا، الشرق الأوسط، إسرائيل، كان البحث يدور حول محور واحد وهو "التفوق الصيني مقارنة مع التفوق الأمريكي وأين سيكون هذان القطبان في عام 2020"، هذا ما جعلني أقول أن هنالك قصة كبيرة وبالتالي قمنا بإنشاء مكاتبنا وقد نكون من أول المكاتب التي أنشئت في الصين ولنا الآن ستة مكاتب في الصين، وتعلمت أن هنالك شيئ اسمه الصين.

ما الذي نتج عن هذه الندوة ؟ ما نتج أنه في عام 2020 ستكون الصين المنافس الأول والمساوي لأمريكا تقنيًا وإقتصاديًا وأن هذا هو المهم، لأن الإستنتاج الثاني أن القوة العسكرية لا قيمة لها دون القوة التقنية والإقتصادية، وأثبت هذا تجربة الإتحاد السوفييتي لأنه في حينها كان أقوى من أمريكا عسكريًا ومع ذلك فشل لأنه لم يكن يمتاز بالقوة الإقتصادية.

والآن وقد وصلنا إلى عام 2020 سأكرر وأشكر أصدقائي الموجودين هنا وأتشرف بهم كما وأوجه الشكر الجزيل إلى رئيس مؤتمرنا الأستاذ عماد الدين مصطفى خالد الذي كرمني بهذه الدعوة، فأصدقائي يعرفون بأنني لا أحلم ولا أتخيل وأنني تلميذ في هذا اليوم أكثر مما كنت في المدرسة، دراساتي ومتابعتي لموضوع الصين منذ ذلك الوقت بالرغم من حفاظنا على علاقتنا الأولى مع أمريكا لأن أمريكا بالنسبة لنا هي سوقنا الرئيسي وعملنا الرئيسي، إنما هذا الصراع الذي نراه اليوم وأنا أتكلم إستنادًا إلى دراسات وأبحاث وتقارير فإن ما نراه في كل الدنيا له سبب واحد وهو "المنافسة بين أمريكا والصين"، إذا كنت تريد أن تكون محرر حقيقي وتدرس كل وضع في كل بلد في الدنيا وكل قرار فأنا لا أعتقد أن هنالك أي معيار بإن هنالك إيران هي عدو لأمريكا فهذا كلام غير منطقي لأنه لا يوجد منافسة في أي شيئ ولكن هي جزء من هذا الصراع في المنطقة وفي مسار النفط في المنطقة.

أمريكا لا تحتاج للنفط ولكنها تحتاج أن تسيطر على النفط، هذا وقد تراكم الصراع والتنافس وهو في أساسه ليس خلافات تجارية ولا جمارك ولا ضرائب، أنا اخترت التحدث في هذا الموضوع لأتهرب من جهلي في موضوع الأسمدة، فالصراع الرئيسي هو حول الإختراع فالصين تخترع سنويًا نص مليون اختراع، فمثلًا تغيير شكل اختراع هكذا يصبح اختراع جديد أي حداثة فيها فائدة تعبتر اختراع، وسرعة التفوق التقني في الصين مقلقة وأنا لو كنت بمكان أمريكا طبعًا لا يناسبني أن يتفوق علي أحد لا سياسيًا ولا إقتصاديًا ولا عسكريًا وأتكلم من موقع خبرتي حيث أنني شغلت منصب فريق الخبراء المنظمة العالمية للأمم المتحدة في الملكية الفكرية وأيضًا فريق خبراء المنظمة العالمية للتجارة (WTO) و (WIPO) فالصراع الحقيقي هو على الإبداع وربما تذكرو تصريح الرئيس الأمريكي "بأن الصين سرقتنا بعشرات الترليونات ويجب استردادها".

أريد أن أقول أن كل ما نراه ورأيناه في الفترة السابقة هو تحضير لما سنراه هذه السنة وأنا أتجرأ لأقول أنه سيكون قبل أكتوبر من هذا العام حيث سيصل هذا الصراع التنافسي على قيادة العالم تقنيًا ومن حيث الإبداع والإختراع وإقتصاديًا، الإستفزازات التي نراها بين العملاقين ما هي إلا دردشة بسيطة، ويقول الخبراء "أن هذه الحرب الحالية التي نراها ستصبح حربًا عسكرية" وسوف أستشهد بالقول "أن الأزمة نعمة" لكي لا يكون حديثي محبط، فنحن نعلن أن في كل خسارة هنالك أرباح ونعلم أن هنالك أغنياء حروب ومن يستفيد من هذه الحروب، وأنا أطلق هذه الصيحة من هنا ليس لأنني أحب الصين أو أمريكا أنا محب لأمتي العربية وأحب شعبي العربي العظيم الذي يجب أن يكون موضع فخرنا.

أرجوكم نحتاج إلى دفعات من الدعم لشبابنا فهم أفضل منا وسيعملون أفضل منا، نريد القول لهم أن أجدادكم قادو العالم تقنيًا إبداعيًا والأخلاق 500 عام فنحن لا نسمع هذا في المقابلات ولا الكتب ولا في المحاضرات وكل ما نسمعه أنه ليس فينا أي فائدة، فلو ليس لنا فائدة لما رأينا هذا التنافس الشديد عليها حتى أصغر الدول تريد أن يكون لها موضع قدم في هذه المنطقة فكيف تقول غير مهمة وهي تتنافس على كل شيئ إلا نحن نقول أننا غير مهمين.

أعتذر لإطالتي عليكم في الحديث، ما أُوله أننا أمام أزمة وفي نفس الوقت فرصة تستطيع أي مؤسسة وأي حكومة دراسة كيفية تحول الأزمة لفرصة، وبالمناسبة نحن عملنا دراسة موجودة على مواقعنا عونوانها "ما هي طرق الإستفادة من الأزمة" أقول أنني كمؤسسة ستكون هذه الفترة فترة إزدهار لنا، لأنني منذ عشر سنوات أحضر لهذه الأزمة القادمة فأي إنسان عاقل ومن غير أن يسمعني يجب أن يدرك ان هنالك صراع بين العملاقين على قيادة العالم، وكيف سينتهي ؟ لن ينتهي بالتنازل وهنالك مركز من مراكز الدراسات الأمريكية المهمة تقول: "إن أمريكا ستصنع حربًا مع الصين" فكل ما يحصل اليوم هو صراع على قيادة العالم، كل شيئ حتى الأمور الداخلية فالأزمات في الدول العربية والثورات وما يسمونها الربيع العربي وأنا أسميها الجحيم العربي كل ما يحصل في هذا الجحيم العربي فهذه ظاهرة ستستولي على دول العالم وهنالك (30) دولة أخرى ليس فقط الدول العربية تعاني من (الشعبوية) والتي تتطلب تغيير في النظام الديمقراطي حتى لا تحكمنا جميعنا فكل ذلك مرتبط بهذه المنافسة.

الأزمات الإقتصادية التي سنراها ستنتج عن حرب تتصاعد إقتصاديًا ثم تصبح عسكريًا، والحروب فرص وعلينا تجهيز أنفسنا لهذه الحرب، فما هي نقاط الضعف والقوة لدينا في أي قطاع الأسمدة، المصارف، المصانع، البناء، فما هي الفرص الممكنة للإستفادة من هذه الحرب في كل قطاع، لا أقول هذا اكلام لأحبط أحد بل لأن واجبي إذا اطلعت على شيئ فعلي نقله لأمتي وليس انا مخترعه ولا صاحبه، أنا ناقل بريد يدرسه ويباحثه العالم ونظن أننا في عالم مختلف.

ليس لدي مانع أن يقال عني جاهل أو غبي ولكن تعلمت وتأثرت كثيرًا في شكسبير ولقد درست شكسبير وأنا متخصص به، يقول شكسبير "إن أهم درس في الحياة أن تدرك أن الجاهل قد يكون على حق" اعتبروني جاهل وأعطو فرصه للتفكير في الموضوع أنه هل من الممكن أن ما يحصل في هذا الوقت والذي توقعناه في عام (1985) فهو ليس صدفه، وبالمناسبة عندما أقول حرب فليس معناه أن هنالك جيوش ستزحف ولا دبابات ستتحرك لأن الحرب أيضًا أصبحت تقنية حرب تكنولوجية وبالنهاية سيجلس الطرفان والعملاقان لصياغة نظام عالمي جديد.

الولايات المتحدة الأمريكية سواء حق أو باطل ترى أن ما نتج من اتفاقيات بعد الحرب العالمية الثانية بما فيها بريتون وودز لم تعد صالحه لهذا العصر وكل ما تقوم به حاليًا هو مخالف لكل المؤسسات فبالتالي هذا النظام لم يعد صالح ونحتاج إلى نظام جديد، وهذا النظام لا يمكن صياغته من قبل دولة واحدة فقط، فإذا اجتمع العملاقان وإن شاء الله يجتمعو وأتمنى أن يجتمعوا قبل أن تحدث الحرب ولكن أنا أعرف أنهم لن يجتمعوا لحل الخلافات لأنها عميقة جدًا، فلو تكلمنا فقط عن الملكية الفكرية بالترليونات فما بالكم التعامل بالدولار فهل ستسمح أمريكا لأي عملة أخرى أن تصبح عملة إحتياط وعملة قياس عالمية، فإذّا هذان العملاقان يجب أن يجلسان لصياغة نظام عالمي جديد يشمل كل شيئ لأن الإختلاف على قيادة العالم وهذا الموضوع لا يتم حله بالمحبة فهذا يستحق أن تخاض حرب من أجله، فقيادة العالم ليست سهلة وليس سهل التنازل عنها وهذا حق أمريكا أكرر وأقول فأنا لا أنتقد أمريكا ولا الصين لأنهما دولتان عملاقتان تقنيًا.

التفوق التقني يقلق أكثر من التفوق الإقتصادي والسياسي والعسكري، ودائما الحروب تنتهي باتفاقيات وينشأ نظام عالمي جديد ليحكم مصير الشعوب ل مئة سنة أخرى، حديثي طويل جدًا ولكن سأكتفي بهذا القدر من الكلام، واسمحو لأنفسكم بالاستماع للجاهل فقد يكون هنالك احتمال لما أقول، وأنا أقول هذا الكلام ويشهر علي الله لأنني أحب هذه الأمة وأعلم أنها ستعود لقيادة العالم وليس اللحاق بالركب العالمي وخصوصًا في عصر الإنترنت الذي حقق الديمقراطية الكاملة، فمثلًا ابني أو حفيدي وبالمناسبة أنا عندي تسعة أحفاد فإبن إبن إبني وإبن الرئيس الصيني أو الأمريكي متساويان عند الدخول للإنترنت وهكذا فقد تحققت ديمقراطية كونية للمرة الأولى في التاريخ.

وهذا ما تعلمته عندما يصبح عمر الشخص (81) سنة وفي أبريل من هذا العام سيصبح (82) إن شاء الله فما تعلمته من خلال صفة من صفاتي في الأمم المتحدة وفي غرفة التجارة الدولية في باريس قمت باستدعاء المسؤول عن اختراع الإنترنت ومستشار الرئيس الأمريكي الذي كان إسمه (إيرا مغازنر) فأراد أن يشرح لنا ما هو الإنترنت فوضع شاشة وعليها ما يشبه الكمبيوتر القديم وكيبورد والذي على الكيبورد كلب ومكتوب عليها "أن عظمة نام الإنترنت أن الذي على الطرف الآخر لا يعرف أنني كلب"، فهذه المساواة الحقيقية لم تحصل في التاريخ ولذلك هي فرصة تاريخية لنا لكن يجب أن نخرج من الإحباط والتوقف عن الحديث عن المشاكل ولنتحدث عن النجاحات مثل اتحاد الأسمدة العربية حتى الصحف اذا قرأناها ليس هنالك خبر إيجابي جميع الأخبار من قتل، من ضرب، كم شخص أصيب، كم شخص قتل، فكل هذا نتيجة للحرب الإعلامية لأن من يدير الإعلام تركز على هذه الجوانب بدلًا من التركيز على جوانب الإبداع والنجاحات في أمتنا العربية.

فأرجوكم وأنتم خير مثال سيدي الرئيس أننا بحاجة لجرعة ثقة وتفاؤل، فلدينا نجاحات كبيرة جدًا ولا أحد يتكلم عنها فكل ما نتكلم عنه هو الإحباط، سامحوني لجهلي واعذروني لأخطائي بكل ما نتج عن كلامي مما لا يرضيكم فأنا ابنكم وتلميذكم وصديقكم والله تعالى أعلم.

شكرًا جزيلًا.